

عملية طوفان الأقصى وتداعياتها في

الإعلام الغربي

منتدى الحوار للثقافة والإعلام

الاثنين، 30 تشرين الأول، 2023

منتدى
الحوار
للثقافة والإعلام



Contents

3	THE JERUSALEM POST
3	الحرب النفسية: حماس تريد تأليب إسرائيل على نفسها
7	THE HILL
7	من فضلكم يا إسرائيل، لا تضيعوا أنفسكم في أنفاق حماس
13	THE FREE PRESS
13	أزمة رهائن حماس تنذر بالإرهاب للعالم
16	THE NEW YORK TIMES
16	كيف أدت سنوات من الإخفاقات الإسرائيلية في التعامل مع حماس إلى هجوم مدمر؟

<https://www.jpost.com/opinion/article-770694>

ما نعرفه على وجه اليقين هو أن هدف هجوم حماس كان التسلل إلى إسرائيل ذات السيادة وتنفيذ أكبر عدد ممكن من الفظائع المدنية لأطول فترة ممكنة.

ونحن ندرك أن هدف هجوم حماس كان اغتيال أي احتمال للسلام. وسياق ذلك هو اتفاقيات السلام الموقعة بين إسرائيل والعديد من دول الخليج في عام 2020، ومعاهدة السلام المرتقبة بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية. وكان من المتوقع من هذه المعاهدة، ليس فقط تطبيع العلاقات بين إسرائيل وأغلبية العالم العربي، بل أيضاً منح تنازلات كبيرة للفلسطينيين. ليس هناك ما يثير قلق حماس أكثر من احتمالات السلام.

ويمكن القول إن هدف هجوم حماس كان الرد الإسرائيلي الذي سيأتي بعده. الجيش الإسرائيلي وحماس ليسا متساويين. حماس لا تستطيع هزيمة الجيش الإسرائيلي في قتال مباشر. والسبيل الوحيد أمام حماس لتغيير هذا الخل هو إغراء جيوش إضافية وكيانات إرهابية للدخول في الصراع ضد إسرائيل. الطريقة الأكثر فعالية للقيام بذلك هي إجبار الجيش الإسرائيلي على القيام بشيء لا يترك لهذه الجماعات المعادية أي خيار سوى الانضمام إلى المعركة. وهكذا، ومن خلال سلسلة من الأحداث التي لا خيار أمامها، نجد أنفسنا في حرب متعددة الجبهات.

إن الإجراءات التي اتخذتها حماس، والطريقة التي تم تنفيذها بها، لن تترك لأي دولة أي خيار سوى الرد بهجوم مضاد، وهي محقة في ذلك. ولكن من المهم أن ندرك أن حماس لم تشارك في هذه الأعمال لأنها فقدت عقلها، فالهجمات كانت تهدف إلى جعلنا نفقد عقولنا. ومن خلال وحشيتهم، أعاد عناصرها فتح جميع الندوب الجماعية للشعب اليهودي - وقد فعلوا ذلك عن عمد. وبالتالي فإن هدفهم هو تحويل الحرب إلى حرب نفسية ضد أنفسنا.

ولكي نحقق نصراً شاملاً على حماس، فيتعين علينا أن نعمل ليس فقط على تفكيك قدراتها العسكرية، بل يتعين علينا أيضاً أن نعمل على تفكيك أهدافها النفسية. وهذا يتطلب قيادة قوية من جانب الحكومة الإسرائيلية، وهو الأمر الذي يعتقد العديد من الإسرائيليين، لأسباب وجيهة، أنه يفتقر إليه.

فمن ناحية، لدينا رئيس وزراء غير مناسب لهذا الدور، وهو شخصية تذكرنا بمأساة شكسبيرية. ومن ناحية أخرى، لدينا ضباط عسكريون مثقلون بالذنب، وهو شعور من شأنه أن يفيد رئيس الوزراء في تجربته والتعبير عنه. وهذا لا يوفر أساساً مثالياً لاتخاذ قرارات حكيمة.

ماذا سيحدث لغزة؟

في حين أن الحرب هي مسعى قصير المدى، حتى في حالات الحروب الطويلة، فإن السياسة هي تجربة مستمرة يشارك فيها الملايين من الناس وتخضع لبعض القيود الأخلاقية. أنت تقوم بتجربة سياسات مختلفة، وتراقب النتائج، ثم تقرر ما إذا كنت ستستمر في هذا المسار أو تعكس المسار وتجرب شيئاً مختلفاً.

ومن خلال هذه العدسة، فإن المستقبل غير مؤكد، ولكن هناك شيء واحد مؤكد: لا يوجد نقص في التوقعات.

ويدعو البعض إلى العودة الفورية للسلطة الفلسطينية. ومع ذلك، تظل السلطة الفلسطينية، تحت قيادة محمود عباس، ضعيفة وفاسدة وغير شرعية على نحو متزايد، وتكافح من أجل حكم أجزاء من الضفة الغربية، ناهيك عن غزة.

قليلون هم الذين يقترحون أن على إسرائيل أن تعيد احتلال قطاع غزة، إلى جانب سكانه البالغ عددهم مليوني نسمة. وكما أوضح وزير الدفاع يوآف غالانت خلال خطابه أمام لجنة الشؤون الخارجية والدفاع بالكنيست في تل أبيب يوم الجمعة، سيتم إنشاء "واقع أمني" جديد، لكن إسرائيل ليس لديها أي نية لاحتلال المنطقة. وهنا أيضاً فإن احتمال العودة إلى واقع ما قبل عام 2005 ضئيل للغاية.

إذا لم يكن الاحتلال خياراً قابلاً للتطبيق، فيجب النظر إلى الضم على أنه مجرد وهم آخر يحمله مبشرون هامشيون يهتفون: "استرجعوا غزة".

ويتحدث آخرون عن إمكانية تشكيل «ائتلاف» كمبادرة لمرحلة ما بعد الصراع، يضم الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والمملكة العربية السعودية وإسرائيل والسلطة الفلسطينية لتولي المسؤولية المؤقتة في القطاع. إنها ليست مسألة موارد، فهي موجودة بكثرة. التحدي الحقيقي يكمن في الاهتمام والرغبة. ومع ذلك، هناك سابقة تاريخية لنهج تعاوني من هذا النوع.

في 14 أغسطس 1941، خلال الحرب العالمية الثانية، قام الرئيس روزفلت ورئيس الوزراء تشرشل بتشكيل ميثاق الأطلسي. وحتى عندما كان علم الصليب

المعقوف يرفرف فوق برج إيفل والأكروبوليس، وبينما كان أهل لندن يعيشون في خوف من قاذفات القنابل الجوية، وبينما كانت الدبابات النازية تتقدم نحو موسكو، كان روزفلت وتشيرشل يتطلعان إلى المستقبل. وفي ميثاق الأطلسي، حددوا رؤيتهم للعالم بعد هزيمة النازية.

وأكد الميثاق أن الحلفاء المنتصرين لن يستغلوا انتصارهم لتوسيع أراضيهم. وشدد على الاعتراف بحقوق الأمم في تقرير المصير والحكم الديمقراطي، ونصت على أن أي إعادة رسم للحدود الوطنية لن تتم إلا بموافقة السكان المحليين.

ماذا عن المصلحة العربية؟ عند الاستماع إلى تصريحات الزعماء العرب في قمة القاهرة للسلام هذا الأسبوع، يظن المرء أنهم يحضرون اجتماعاً للدول الاسكندنافية يديره أساتذة الأخلاق والإنسانية. وهذا بعيد كل البعد عن الواقع. هؤلاء هم رجال دولة من بعض الدول الأقل ديمقراطية والأكثر طغياناً في العالم. ومن غير الواضح من الذي يحاولون إقناعه، لكن لا يوجد شخص عاقل يأخذهم على محمل الجد عندما يبدأون بالحديث عن "الإنسانية".

ولكن هنا أيضاً هناك سبب، ليس في القيم، بل في المصلحة الإقليمية. لقد ترك عقد الاضطرابات الذي أعقب أحداث الربيع العربي المنطقة منقسمة بشدة، ومبتلاة بالصراعات العرقية والدينية، والمناطق غير الخاضعة للحكم، وعدد متزايد من الدول الفاشلة.

وبينما لا يزال الشرق الأوسط يعج بالعنف وعدم الاستقرار، فقد تغير محور الصراع. ولم تعد المعركة بين إسرائيل والعرب. بل إنه صراع بين التحالف العربي الإسرائيلي من ناحية، والثورة الإسلامية في إيران ووكلائها الإرهابيين من ناحية أخرى.

ويشكل محور المقاومة، الذي تقوده عناصر متطرفة من العالمين الشيعي والسني، تحدياً متزايداً لتحالف من الجهات الفاعلة بقيادة العديد من دول الخليج، بما في ذلك السعودية. وتنظر هذه البلدان إلى التطرف باعتباره تهديداً وجودياً. وعندما أصبح الإسلام السياسي يشكل التهديد الرئيسي وأصبحت إيران مصدر قلق كبير، أصبحت هذه الأصوات المتعارضة متزامنة مع الفكر الإقليمي الناشئ، والذي لم يعد يقبل الإسلاميين أو المتعاطفين مع إيران.

إن المهمة المباشرة التي بين أيدينا واضحة، ولكن النتيجة لا يمكن التنبؤ بها على الإطلاق. وما نعرفه حقاً هو أننا نواجه مجموعة من الخيارات غير المواتية، بدءاً من كوارث التدمير الذاتي إلى التشكيل غير المرجح ولكنه مملوء بالأمل لميثاق الأطلسي للشرق الأوسط بتيسير من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي. فقط الوقت كفيل بإثبات. وحتى ذلك الحين، سنبقى في الضباب.

<https://www.nytimes.com/2023/10/29/opinion/israel-hamas-ceasefire.html>

توماس فريدمان

إنني أشاهد الحرب بين إسرائيل وحماس في غزة اليوم وأفكر في أحد زعماء العالم الذين أعجبت بهم كثيرًا: مانموهان سينغ. وكان رئيساً لوزراء الهند في أواخر نوفمبر 2008، عندما تسلل 10 مسلحين جهاديين باكستانيين من جماعة عسكر طيبة، التي يعتقد على نطاق واسع أنها مرتبطة بالمخابرات العسكرية الباكستانية، إلى الهند وقتلوا أكثر من 160 شخصاً في مومباي، من بينهم 61 شخصاً في فندقين فاخرين. الفنادق. فماذا كان رد سينغ العسكري على أحداث 11 سبتمبر في الهند؟

لم يفعل شيئاً.

لم ينتقم سينغ عسكرياً أبداً ضد دولة باكستان أو معسكرات عسكر طيبة في باكستان. لقد كان عملاً رائعاً لضبط النفس. ماذا كان المنطق؟ في كتابه "خيارات: داخل صناعة السياسة الخارجية للهند"، شرح وزير خارجية الهند في ذلك الوقت، شيفشانكار مينون، السبب وراء ذلك، موضحاً هذه النقاط الرئيسية:

وكتب مينون: "لقد ضغطت بنفسني في ذلك الوقت من أجل الانتقام الفوري الواضح" ضد القواعد الجهادية أو ضد المخابرات العسكرية الباكستانية، "التي كانت متواطئة بشكل واضح". "إن القيام بذلك كان سيشعرنا بالرضا العاطفي ويقطع شوطاً نحو محو العار الناجم عن عدم الكفاءة الذي أظهرته الشرطة وأجهزة الأمن الهندية".

وتابع: "لكن بعد التفكير الرصين وبعد فوات الأوان، أعتقد الآن أن قرار عدم الانتقام العسكري والتركيز على الوسائل الدبلوماسية والسرية وغيرها كان القرار الصحيح في ذلك الوقت والمكان".

وأوضح مينون أن أهم الأسباب هو أن أي رد عسكري كان من شأنه أن يحجب بسرعة مدى شناعة وفضاعة الغارة على المدنيين والسياح الهنود، "وحقيقة وقوع هجوم إرهابي من باكستان على الهند بمشاركة رسمية من الجانب الباكستاني" كان من الممكن أن تضيع. وبمجرد قيام الهند بالانتقام، فإن العالم كان سيواجه على الفور ما أسماه مينون "رد الفعل الهادئ". مجرد خلاف باكستاني هندي آخر، لا شيء غير عادي هنا.

علاوة على ذلك، كتب مينون أن "الهجوم الهندي على باكستان كان من شأنه أن يوحد باكستان خلف الجيش الباكستاني، الذي كان يعاني من سوء السمعة المحلية على نحو متزايد"، و"الهجوم على باكستان كان من شأنه أيضاً أن يضعف الحكومة المدنية في باكستان، التي تم انتخابها للتو لتولي السلطة". والتي سعت إلى إقامة علاقة أفضل بكثير مع الهند مما كان الجيش الباكستاني على استعداد للنظر فيه. وتابع: "إن الخوف من الحرب، وربما حتى الحرب نفسها، كان بالضبط ما أراده الجيش الباكستاني لدعم موقفه الداخلي".

بالإضافة إلى ذلك، كتب قائلاً: "إن الحرب، حتى لو كانت حرباً ناجحة، كانت ستفرض تكاليف وتعيق تقدم الاقتصاد الهندي في وقت كان فيه الاقتصاد العالمي في نوفمبر 2008 يمر بأزمة مالية غير مسبوقة".

وفي الختام، قال مينون، "من خلال عدم مهاجمة باكستان، كانت الهند حرة في اتباع جميع الوسائل القانونية والسرية لتحقيق أهدافها المتمثلة في تقديم الجناة إلى العدالة، وتوحيد المجتمع الدولي لفرض عواقب على باكستان بسبب سلوكها وتأكيد عدم احتمال حدوث مثل هذه الهجمات مرة أخرى".

وأنا أفهم أن إسرائيل ليست الهند - دولة يبلغ عدد سكانها 1.4 مليار نسمة، وتغطي مساحة شاسعة من الأرض. إن خسارة ما يزيد على 160 شخصاً في مومباي، وبعضهم من السائحين، لم تكن محسوسة في كل بيت أو قرية صغيرة، كما حدث مع مقتل وتشويه واختطاف ما يقرب من 1400 إسرائيلي على يد حماس. وتمتلك باكستان أيضاً أسلحة نووية لردع الانتقام.

ومع ذلك فمن المفيد أن نتأمل التناقض بين رد الهند على الهجوم الإرهابي في مومباي ورد إسرائيل على المذبحة التي ارتكبتها حماس.

بعد الرعب الأولي الناتج عن الهمجية المطلقة التي ارتكبتها حماس ضد الأطفال الإسرائيليين وكبار السن، وحفلة رقص، ماذا حدث؟ سرعان ما تحول السرد إلى وحشية الهجوم الإسرائيلي المضاد على المدنيين في غزة، الذين زرعت حماس نفسها بينهم. لقد طغت الضربة الإسرائيلية المضادة الضخمة على إرهاب حماس، وبدلاً من ذلك جعلت منهم أبطالاً في نظر البعض. كما أنها أجبرت حلفاء إسرائيل العرب الجدد في اتفاقيات إبراهيم على النأي بأنفسهم عن الدولة اليهودية.

ومن ناحية أخرى، ومع استدعاء نحو 360 ألف جندي احتياطي، يكاد يكون من المؤكد أن الاقتصاد الإسرائيلي سوف يعاني من الكساد إذا استغرق طرد إسرائيل لحماس من غزة أشهراً، كما كان متوقعاً. ومن المتوقع بالفعل أن ينكمش بأكثر من 10 بالمائة على أساس سنوي خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من العام. وذلك بعد أن صنفته مجلة الإيكونوميست كـرابع أفضل الاقتصادات أداءً بين دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في عام 2022.

على المستوى الشخصي، أشعر بالفزع من رد فعل هؤلاء الطلاب والتقدميين الذين وقفوا إلى جانب حماس ضد إسرائيل - في بعض الحالات، حتى قبل أن تنتقم - كما لو أن الشعب اليهودي لا يحق له تقرير المصير أو الدفاع عن النفس في أي جزء من وطن أجداده. كما أن رد الفعل العنيف هذا لا يأخذ في الاعتبار أن إسرائيل، على الرغم من كل عيوبها، هي مجتمع متعدد الثقافات حيث ما يقرب من نصف الأطباء المتخرجين اليوم هم من العرب أو الدروز. أو أن حماس هي منظمة إسلامية متشددة لا تتسامح مع المعارضة أو الأفراد المثليين، وقد كرست جهودها لمحو الدولة اليهودية عن وجه الأرض.

لذا فإنني أتعاطف مع الاختيارات الرهيبة التي واجهتها حكومة إسرائيل بعد أسوأ مذبحه لليهود منذ المحرقة. ولكن على وجه التحديد لأنني تابعت عن كثب رد فعل سينغ الفريد على الهجمات الإرهابية في مومباي، دعوت على الفور إلى رد فعل أكثر استهدافاً ومدرّساً بالكامل من جانب إسرائيل. وكان ينبغي أن يطلق على هذه العملية اسم "أنقذوا رهائننا" وأن تركز على القبض على خاطفي الأطفال والأجداد وقتلهم. يمكن لكل والد أن يفهم ذلك.

وبدلاً من ذلك، سارعت حكومة بنيامين نتنياهو على الفور إلى وضع خطة تهدف إلى "محو" حماس "من على وجه الأرض"، على حد تعبير وزير الدفاع يوآف

غالانت. وفي غضون ثلاثة أسابيع، تسببت إسرائيل بسهولة في وقوع ما يزيد على ثلاثة أضعاف عدد الضحايا المدنيين والدمار الذي عانت منه إسرائيل في غزة، في حين ألزمت نفسها بالسيطرة العسكرية على غزة - وهي عملية، على أساس سكاني نسبي، تعادل تقريباً اتخاذ الولايات المتحدة قراراً بين عشية وضحاها لاحتلال نصف المكسيك. وستكون الخطة الإسرائيلية، بحسب نتياهو، معركة "طويلة وصعبة" لتدمير القدرات العسكرية والحكومية لحماس وإعادة الرهائن إلى الوطن.

وكما قلت، فإن إسرائيل ليست الهند، وليس هناك من طريقة يمكن أن نتوقع منها أن تدير بها خدعها الآخر - ليس في تلك المنطقة. ولكن ما هي خطة نتياهو؟ أخبرني المسؤولون الإسرائيليون الذين تحدثت معهم أنهم يعرفون أمرين مؤكدين: أن حماس لن تحكم غزة مرة أخرى، وأن إسرائيل لن تحكم غزة ما بعد حماس. ويقترحون أنهم سيضعون ترتيباً مماثلاً كما هو الحال في أجزاء من الضفة الغربية اليوم، حيث يدير الفلسطينيون في غزة الحياة اليومية، بينما توفر فرق الجيش الإسرائيلي وفرق الأمن التابعة للشاباك القوة وراء الكواليس.

هذه خطة نصف ناضجة. من هم هؤلاء الفلسطينيون الذين سيتم تجنيدهم لحكم غزة نيابة عن إسرائيل؟ ماذا يحدث في صباح اليوم التالي بعد العثور على فلسطيني يعمل لصالح إسرائيل في غزة مقتولاً في زقاق مع ملاحظة معلقة على صدره: "خائن" موقعة بعبارة "حركة حماس السرية".

علاوة على ذلك، من الذي سيتحمل تكاليف سيطرة إسرائيل على قطاع غزة، وتوفير الرعاية الصحية والتعليم لسكان غزة البالغ عددهم 2.2 مليون نسمة؟ من فضلك ارفع يدك إذا كنت تعتقد أن الاتحاد الأوروبي، أو دول الخليج العربية، أو التجمع التقدمي الكبير في الحزب الديمقراطي في مجلس النواب الأمريكي، سيمول إشرافاً إسرائيلياً لأجل غير مسمى على غزة - في حين يتعهد نتياهو وفرقته من العنصريين اليهود بضم الضفة الغربية دون حقوق متساوية للفلسطينيين هناك. إن تكلفة احتلال غزة يمكن أن ترهق الجيش الإسرائيلي والاقتصاد الإسرائيلي لسنوات قادمة.

وفوق كل ذلك، كيف ستدير إسرائيل مثل هذه العملية المعقدة عندما تكون هناك - لسبب وجيه - ثقة ضئيلة في نتياهو؟ وفي يوم السبت الماضي، أشار إلى رؤساء المخابرات العسكرية الإسرائيلية والشين بيت باعتبارهم مسؤولين عن

تفويت هجوم حماس المفاجئ بينما أعفى نفسه من أي لوم. وبعد يوم واحد، أجبر الجمهور الإسرائيلي الغاضب رئيس الوزراء على التراجع عن اتهاماته المتبادلة في زمن الحرب ضد زملائه. لكن الضرر كان قد وقع.

ليس لدى نتنياهو فريق من المنافسين الذين يدعمونه. فهو لديه فريق من الأشخاص يُطلب منهم اتخاذ خيارات مؤلمة طويلة الأمد، في حين يعلمون أن رئيس وزرائهم هو شخص ذو شخصية متدنية لدرجة أنه سوف يلومهم على كل ما يحدث بشكل خاطئ ويحرمهم من كل الفضل في أي شيء يسير على ما يرام.

باختصار، عزيزي القارئ، أفهم لماذا تعتقد إسرائيل أنها بحاجة إلى تدمير حماس وبالتالي ردع الآخرين في المنطقة عن التفكير في مثل هذا الشيء. لكن وجهة نظر واشنطن هي أن القيادة الإسرائيلية ليس لديها خطة قابلة للتطبيق للفوز أو زعيم يمكنه التغلب على ضغوط وتعقيدات هذه الأزمة. ويتعين على إسرائيل أن تدرك أن تسامح حليفها الأميركي مع الخسائر البشرية الهائلة في صفوف المدنيين في غزة في عملية عسكرية مفتوحة ليس بلا حدود. في الواقع، ربما نقترب قريباً من الحد الأقصى.

ينبغي لإسرائيل أن تبقى الباب مفتوحاً أمام وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية وتبادل الأسرى، وهو ما سيسمح لإسرائيل أيضاً بالتوقف والتفكير في الاتجاه الدقيق لعملياتها العسكرية المتسارعة في غزة - والتمن الذي يمكن أن تدفعه على المدى الطويل.

ولهذا السبب أ طرح المثال الهندي. لأن الاستخدام المستهدف للقوة بأهداف محدودة وقابلة للتحقيق قد يخدم أمن إسرائيل وازدهارها في الأمد البعيد أكثر من مجرد حرب مفتوحة للقضاء على حماس. على الأقل ينبغي لإسرائيل أن تطرح هذا السؤال.

ومن الممكن أن يسمح مثل هذا التوقف أيضاً لسكان غزة بتقييم ما فعله هجوم حماس على إسرائيل - ورد فعل إسرائيل المتوقع تماماً - على حياتهم وعائلاتهم ومنازلهم وشركاتهم. ما الذي اعتقدت حماس بالضبط أنها ستحققه من خلال هذه الحرب لشعب غزة، الذي كان الآلاف منهم يذهبون للعمل في إسرائيل كل يوم أو يصدرون المنتجات الزراعية وغيرها من السلع عبر الحدود بين غزة وإسرائيل قبل بضعة أسابيع فقط؟ لقد حصلت حماس على قدر كبير جداً من الفهم ولم تكن لديها ما يكفي من الأسئلة الصعبة.

أريد أن أرى قادة حماس يخرجون من أنفاقهم تحت المستشفيات وينظروا في أعين شعبهم ووسائل الإعلام العالمية ويخبرونا جميعاً لماذا اعتقدوا أن تشويه واختطاف الأطفال والجندات الإسرائيليين وإثارة هذه الفكرة هي فكرة عظيمة. رد فعل رهيب على أطفال وجندات جيرانهم في غزة - ناهيك عن أطفالهم وجداتهم.

لقد اعتقدت دائماً أنه يمكنك اختزال الصراع الإسرائيلي الفلسطيني منذ أوائل القرن العشرين في سطر واحد: الصراع، والمهلة، والصراع، والمهلة، والصراع، والمهلة، والصراع، والمهلة، والصراع، والمهلة. الفرق الأكثر أهمية بين الطرفين هو ما فعله كل منهما خلال المهلات.

فقد قامت إسرائيل ببناء مجتمع واقتصاد مثيرين للإعجاب، حتى ولو كان معيباً، واستولت حماس على كل مواردها تقريباً وبنّت أنفاقاً هجومية.

من فضلكم يا إسرائيل، لا تضيعوا في تلك الأنفاق.

<https://www.winnipegfreepress.com/opinion/analysis/2023/10/30/hamas-hostage-crisis-bodes-terror-for-the-world>

إن احتجاز الرهائن، مثله كمثل العقاب الجماعي، يُعد من بين أكثر التكتيكات وحشية في الحروب البشرية، ولكنه أيضاً أقدمها. ورغم هذا فإن شيئاً ما قد تغير نوعياً في السابع من أكتوبر، عندما شنت حماس هجوماً القاتل في إسرائيل واختطف أكثر من مائتي شخص بريء إلى قطاع غزة.

إن ما ستفعله حماس وإسرائيل وغيرهما في الأيام والأسابيع المقبلة سيشكل سوابق جديدة قد تفتح الدائرة العاشرة من الجحيم في هذا الصراع وغيره من الصراعات المقبلة.

الرعب يمس بالفعل العالم كله. ويرجع ذلك جزئياً إلى أن الرهائن لا يشملون مواطنين من إسرائيل فحسب، بل أيضاً من حوالي 25 دولة أخرى - من الولايات المتحدة إلى تايلاند والأرجنتين وألمانيا وفرنسا ونيبال وروسيا والصين وسريلانكا وتنزانيا وغيرها. لدى البشرية جمعاء تقريباً الآن غرفة في قلبها أسيرة في مكان ما في الأنفاق تحت غزة.

ولكن موجات الصدمة سوف تشع على نطاق واسع لأسباب أخرى أيضاً. ومن الواضح أن وضع الرهائن أصبح أحد العوامل، إن لم يكن العامل، الذي يحدد تطور هذه الحرب وقد يقرر ما إذا كان الصراع سيمتد إلى المنطقة وخارجها.

في الوقت الحالي، نصح الرئيس الأمريكي جو بايدن وآخرون رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بتأجيل غزو واسع النطاق لغزة، من أجل زيادة فرص إخراج الرهائن أحياء. وتم إطلاق سراح العديد منهم، بعد وساطة من قطر. لكن معظمهم يظلون في الأسر. وفي أي لحظة الآن سوف يدخل الإسرائيليون القطاع بكامل قوتهم لتدمير حماس، وسيتبع ذلك قتال مروّع في الشوارع والأنفاق، ونتائج لا تحصى بالنسبة للأسرى.

وحتى قبل أن يحدث ذلك، فقد شهد العالم بالفعل أن المدنيين الفلسطينيين الأبرياء أصبحوا أيضاً رهائن من نوع ما في السابع من أكتوبر. ورغم أن العديد من

الناس اختاروا رؤية الأمر بشكل مختلف، فإن حماس، وليس إسرائيل، هي التي أسرتهم مرة أخرى.

ويستخدم المسلحون بشكل ساخر السكان الذين من المفترض أن يحكموهم كدروع بشرية، مع العلم أن سكان غزة محاصرون في الواقع، وليس لديهم مكان يذهبون إليه. إن ما يعانيه هؤلاء المدنيون ليس عقاباً جماعياً تقصده إسرائيل، ولكنه يبدو كذلك بالنسبة لسكان غزة.

وربما الأسوأ لم يأت بعد. تمت مقارنة حماس في الأسابيع الأخيرة بتنظيم الدولة الإسلامية، الجماعة التي قطعت رؤوس الرهائن على شريط فيديو واستمعت بنوع جديد من الأفلام الإباحية الإرهابية. ستحدد الأسابيع المقبلة إلى أين ستؤدي دوامات الكراهية الحالية.

لكن السبب الأكبر الذي جعل يوم السابع من أكتوبر يغير العالم بالفعل هو أنه ذكر الجميع، في كل مكان، بالمنطق العدمي الذي يجعل الناس يأخذون غيرهم من البشر كرهائن. وخاصة عندما يكون الخصم متفوقاً عسكرياً، مثل الولايات المتحدة أو إسرائيل في مواجهة أي خصم تقريباً، فإن المقاتلين سوف يبحثون عن عدم التكافؤ. وطالما أنهم على استعداد لأن يكونوا أكثر قسوة من أعدائهم، فسوف يجدون دائماً أهدافاً بين الأشخاص الأكثر ضعفاً على الجانب الآخر.

لم يكن هذا دائماً هو السياق الأساسي الذي تم فيه أخذ الرهائن.

وتحظر اتفاقيات جنيف هذه الممارسة وتعتبرها المحكمة الجنائية الدولية جريمة حرب. وفي عام 1979، اعتمدت الأمم المتحدة الاتفاقية الدولية لمناهضة أخذ الرهائن.

وبالنسبة للضعفاء وعديمي الضمير الذين يأملون في هزيمة الأقوياء، تظل مزايا هذا التكتيك واضحة. وهذا يجعل الولايات المتحدة معرضة للخطر بشكل خاص، كما كان الحال في عام 1979، عندما احتجز الطلاب الإيرانيون بعد الثورة أكثر من 50 أميركياً كرهائن لمدة 444 يوماً. كما حولت الإسرائيليين إلى أهداف متكررة، وكان أشهرها خلال دورة الألعاب الأولمبية الصيفية لعام 1972 في ميونيخ، وهي الألعاب الأولى التي أقيمت على الأراضي الألمانية منذ أدولف هتلر في عام 1936. واحتجز الإرهابيون الفلسطينيون تسعة رياضيين إسرائيليين كرهائن، قُتلوا جميعاً في محاولة إنقاذ فاشلة قام بها الألمان.

وبالنسبة للدول الضحايا، فإن الرد الصحيح لا يمكن التنبؤ به، أخلاقياً واستراتيجياً. ما هي قيمة الحياة؟ وفي عام 2006، أسرت حماس جندياً إسرائيلياً يبلغ من العمر 19 عاماً يدعى جلعاد شاليط، واحتجزته لمدة خمس سنوات قبل أن تقايضه مقابل 1027 فلسطينياً، قتل العديد منهم إسرائيليين. ماذا أفادت نسبة 1 إلى 1000 حماس حينها؟ ما هي أزمة الرهائن اليوم التي تعلمها الإرهابيين الآخرون الآن، سواء كانوا دول أو غير الدول؟

والحقيقة هي أن احتجاز الرهائن يستغل عدم التماثل في القوة وفي أنظمة القيم. جيوش الدول الديمقراطية المسؤولة أمام مواطنيها تتجنب اختطاف الأبرياء أو اختطافهم أو أسرهم (كيفية معرفة ذلك بشكل موثوق من المقاتلين هي مسألة أخرى). وذلك لأن القيام بذلك أمر شرير، ولكن أيضاً لأن الإدانة في الداخل والخارج من شأنها أن تحول أي انتصار تكتيكي إلى هزيمة استراتيجية.

على النقيض من ذلك، فإن أكثر زعماء العالم قسوة - من الملاي الإيرانيين إلى كيم جونج أون في كوريا الشمالية والرئيس الروسي فلاديمير بوتين - لا يفكرون في الحياة البشرية سوى حياتهم الخاصة، ولا يهتمون كثيراً بالإهانة طالما أنهم قادرون على البقاء في السلطة، ويحسبون ببرود ما إذا كان اختطاف الرهائن سيعزز أهدافهم الشخصية.

تمت مقارنة يوم 7 أكتوبر 2023 بيوم 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة. لكن الأمر كان مختلفاً، فأحداث 11 سبتمبر، رغم كونها مؤلمة، لم تتحول إلى أزمة رهائن. كما أن يوم السابع من أكتوبر لا يمكن مقارنته حقاً بالألعاب الأولمبية لعام 1972، أو أسر جلعاد شاليط، أو حتى بأفظع الأعمال التي ارتكبتها تنظيم الدولة الإسلامية - ولو فقط لأنه يتجاوز إلى حد كبير تلك الفظائع من حيث الحجم.

وهكذا فإن نحو مائتين من الأبرياء الذين يختبئون في الأنفاق تحت غزة، والمليونين من الأبرياء الذين يتذمرون فوقها، أصبحوا الآن في مركز الاهتمام في السياسة العالمية. ويتشابك مصيرهم مع مصير الأشخاص الذين سيأخذهم المقلدون كرهائن في المستقبل، ومع الكراهية والحروب القادمة في أماكن بعيدة. الأميركيون في خطر، والإسرائيليون في خطر، وجميعنا في خطر.

وهذا ما فعلته حماس، الدائرة العاشرة من الجحيم.

<https://www.nytimes.com/2023/10/29/world/middleeast/israel-intelligence-hamas-attack.html>

حتى بداية الهجوم تقريبًا، لم يعتقد أحد أن الوضع كان خطيرًا بما يكفي لإيقاظ رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، وفقًا لثلاثة مسؤولين دفاعيين إسرائيليين.

وفي غضون ساعات، انخرطت قوات تيكلا في معركة مع الآلاف من مسلحي حماس الذين اخترقوا السياج الحدودي الإسرائيلي، وانطلقوا مسرعين في الشاحنات والدراجات النارية إلى جنوب إسرائيل، وهاجموا القرى والقواعد العسكرية.

ولم تكتف القوة العسكرية الأعظم في الشرق الأوسط بالاستهانة بشكل كامل بحجم الهجوم، بل إنها فشلت تمامًا في جهودها لجمع المعلومات الاستخبارية، ويرجع ذلك في الأغلب إلى الغطرسة والافتراض الخاطئ بأن حماس تمكنت من احتواء التهديد.

وعلى الرغم من براعة إسرائيل التكنولوجية المتطورة في مجال التجسس، فقد خضع مسلحو حماس لتدريب مكثف على الهجوم، ولم يتم اكتشافهم فعليًا لمدة عام على الأقل. وكان لدى المقاتلين، الذين تم تقسيمهم إلى وحدات مختلفة ذات أهداف محددة، معلومات دقيقة عن القواعد العسكرية الإسرائيلية وتخطيط الكيوتسات.

لقد تحطم الشعور بالأمن الذي كان لا يهزم في البلاد.

ووعد المسؤولون الإسرائيليون بإجراء تحقيق كامل في الخطأ الذي حدث.

وحتى قبل هذا التحقيق، من الواضح أن الهجمات كانت ممكنة بسبب سلسلة من الإخفاقات خلال السنوات الأخيرة - وليس لساعات أو أيام أو أسابيع. ويظهر الفحص الذي أجرته صحيفة نيويورك تايمز، استنادًا إلى عشرات المقابلات مع مسؤولين إسرائيليين وعرب وأوروبيين وأمريكيين، فضلًا عن مراجعة وثائق الحكومة الإسرائيلية والأدلة التي تم جمعها منذ غارة 7 أكتوبر، أن:

وقضى مسؤولو الأمن الإسرائيليون شهراً وهم يحاولون تحذير نتنياهو من أن الاضطرابات السياسية الناجمة عن سياساته الداخلية تضعف أمن البلاد وتشجع أعداء إسرائيل. وواصل رئيس الوزراء الدفع بهذه السياسات. وفي أحد أيام شهر يوليو، رفض حتى مقابلة جنرال كبير جاء لتسليم تحذير من التهديد بناءً على معلومات استخباراتية سرية، وفقاً لمسؤولين إسرائيليين.

لقد أخطأ المسؤولون الإسرائيليون في تقدير التهديد الذي تشكله حماس لسنوات، وبشكل أكثر خطورة في الفترة التي سبقت الهجوم. كان التقييم الرسمي للمخابرات العسكرية الإسرائيلية ومجلس الأمن القومي منذ مايو 2021 هو أن حماس ليس لديها مصلحة في شن هجوم من غزة قد يستدعي ردًا مدمرًا من إسرائيل، وفقاً لخمسة أشخاص مطلعين على التقييمات تحدثوا بشرط عدم الكشف عن هويتهم لمناقشة تفاصيل حساسة. وبدلاً من ذلك، قدرت الاستخبارات الإسرائيلية أن حماس كانت تحاول إثارة العنف ضد الإسرائيليين في الضفة الغربية، التي تسيطر عليها منافستها السلطة الفلسطينية.

إن اعتقاد السيد نتنياهو وكبار المسؤولين الأمنيين الإسرائيليين بأن إيران وحزب الله، أقوى قوة وكيلة لها، يمثلان أخطر تهديد لإسرائيل، أدى إلى تحويل الاهتمام والموارد بعيداً عن مواجهة حماس. في أواخر سبتمبر، قال مسؤولون إسرائيليون كبار لصحيفة التايمز إنهم يشعرون بالقلق من احتمال تعرض إسرائيل لهجوم في الأسابيع أو الأشهر المقبلة على عدة جبهات من قبل الميليشيات المدعومة من إيران، لكنهم لم يذكروا أن حماس بدأت حرباً مع إسرائيل من قطاع غزة.

وتوقفت وكالات التجسس الأمريكية في السنوات الأخيرة إلى حد كبير عن جمع المعلومات الاستخبارية عن حماس وخططها، معتقدة أن الجماعة تمثل تهديداً إقليمياً تديره إسرائيل.

بشكل عام، أفتتهم الغطرسة بين المسؤولين السياسيين والأمنيين الإسرائيليين بأن التفوق العسكري والتكنولوجي للبلاد على حماس من شأنه أن يبقي الجماعة الإرهابية تحت السيطرة.

وقال إيال هولوتا، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي من عام 2021 حتى أوائل هذا العام، خلال مناقشة الأسبوع الماضي في واشنطن برعاية مؤسسة الدفاع

عن الديمقراطية: “لقد تمكنوا من خداع مجموعتنا وتحليلاتنا واستنتاجاتنا وفهمنا الاستراتيجي”. .

وجاء في المنشور باللغة العبرية: “لم يتم تحذير رئيس الوزراء نتنياهو تحت أي ظرف من الظروف وفي أي مرحلة من نوايا الحرب من جانب حماس”. “على العكس من ذلك، فإن تقييم المستوى الأمني بأكمله، بما في ذلك رئيس المخابرات العسكرية ورئيس الشاباك، هو أن حماس تم ردعها وتسعى إلى تسوية”.

وكانت المرة الأخيرة التي تعرض فيها إيمان الإسرائيليين الجماعي بأمن بلادهم للتدمير على نحو مماثل قبل خمسين عاما، في بداية حرب يوم الغفران، عندما فوجئت إسرائيل بهجوم شنته القوات المصرية والسورية. وفي صدى لهذا الهجوم، نجحت حماس لأن المسؤولين الإسرائيليين ارتكبوا العديد من نفس الأخطاء التي ارتكبت في عام 1973.

كانت حرب يوم الغفران "مثالا كلاسيكيا على كيفية فشل الاستخبارات عندما تقوم مجتمعات السياسة والاستخبارات ببناء حلقة من ردود الفعل التي تعزز تحيزاتها وتعميها عن التغيرات في بيئة التهديد"، كما يقول بروس ريدل، كبير محلي شؤون الشرق الأوسط السابق في وكالة المخابرات المركزية. .

وفي مقابلة أجريت معه هذا الشهر، قال ريدل إن السيد نتنياهو كان يحصد عواقب التركيز على إيران باعتبارها التهديد الوجودي لإسرائيل بينما يتجاهل إلى حد كبير العدو في فئانه الخلفي.

وقال، مستخدماً اللقب الذي يطلقه نتنياهو: “إن رسالة بيبي إلى الإسرائيليين هي أن التهديد الحقيقي هو إيران”. وأضاف أنه مع احتلال الضفة الغربية وحصار غزة، لم تعد القضية الفلسطينية تشكل تهديدا لأمن إسرائيل. لقد تحطمت كل هذه الافتراضات في 7 أكتوبر.

تحذيرات تم تجاهلها

وفي حقيبة أحد الجنرالات، أهارون هاليفا، رئيس مديرية المخابرات العسكرية التابعة لقوات الدفاع الإسرائيلية، كانت هناك وثائق سرية للغاية تتضمن تفاصيل حكم صادر عن مسؤولي المخابرات مفاده أن الاضطرابات السياسية تشجع أعداء إسرائيل. وذكرت إحدى الوثائق أن قادة ما يسميه المسؤولون الإسرائيليون

"محور المقاومة" - إيران وسوريا وحماس وحزب الله والجهاد الإسلامي الفلسطيني - يعتقدون أن هذه كانت لحظة ضعف إسرائيلية ووقتاً للضرب.

وقال زعيم حزب الله حسن نصر الله، بحسب إحدى الوثائق، إنه من الضروري الاستعداد لحرب كبرى.

واستندت تحذيرات الجنرالات إلى حد كبير إلى سلسلة من الاستفزازات على الحدود الشمالية لإسرائيل. واعتقد المسؤولون الإسرائيليون أن حزب الله كان يقود التخطيط لهجوم منسق ضد إسرائيل، ولكن ليس الهجوم الذي من شأنه أن يؤدي إلى حرب شاملة.

وتزايدت مخاوف المسؤولين خلال شهري أغسطس وسبتمبر، وتحدث الجنرال هاليفي عن مخاوفه علناً. وقال في احتفال عسكري يوم 11 سبتمبر/أيلول، قبل أسابيع فقط من الهجوم: "يجب أن نكون أكثر استعداداً من أي وقت مضى لنزاع عسكري واسع النطاق ومتعدد الساعات".

كما تجاهلت حكومة نتنياهو تحذيرات جيران إسرائيل. بصفته الوصي على الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس، كان الأردن وسيطاً مهماً بين الفلسطينيين والحكومة الإسرائيلية في مجمع المسجد الأقصى، ثالث أقدس موقع في الإسلام. وشهد مجمع المسجد غارات متكررة من قبل القوات الإسرائيلية على مر السنين، وقالت حماس إنها شنت هجوم هذا الشهر جزئياً كرد انتقامي على تلك الأعمال.

التركيز الخاطئ

وبينما كان مسؤولو الأمن والاستخبارات على حق بشأن الهجوم القادم، فإن تركيزهم المكثف على حزب الله وإيران كان له تأثير مأساوي: فقد تم إيلاء اهتمام أقل بكثير للتهديدات القادمة من غزة. منذ انسحاب إسرائيل في عام 2005 وتطور حماس من منظمة حرب عصابات بحتة إلى القوة الحاكمة في غزة في عام 2007، لم يكن لدى حماس سوى مناوشات دورية مع الجيش الإسرائيلي.

وفي محادثة مع المحققين العسكريين بعد أسبوعين من الهجوم، شهد الجنود الذين نجوا من الهجوم أن تدريبات حماس كانت دقيقة للغاية لدرجة أنها دمرت صفاً من الكاميرات وأنظمة الاتصالات بحيث "تم إيقاف تشغيل جميع شاشاتنا في نفس الثانية تقريباً." وكانت نتيجة كل هذا العمى شبه الكامل في صباح يوم الهجوم.

وبعد توقف القتال، عثر الجنود الإسرائيليون على أجهزة راديو محمولة على جثث بعض مقاتلي حماس - وهي نفس أجهزة الراديو التي قرر مسؤولو المخابرات الإسرائيلية قبل عام أنها لم تعد تستحق المراقبة.